

تصحيح المفاهيم

أولئك شرار الخلق عند الله

ظهير أحمد بشير – ماله

من حكمة الله في خلق الجن والإنس إخلاص العبادة بجميع أنواعها له، من السجود، والركوع، والدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وما إلى ذلك. قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. (١)

بدء الشرك

كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وجميع أنواع البدعة والشرك ابتدأت بعد عهد نوح عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا﴾. (٢) إن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم.

فهؤلاء جمعوا بين الفتنين: فتنة اللجوء إلى القبور، وفتنة التماثيل، وهما الفتنان اللتان أشار إليهما رسول الله - ﷺ - في الحديث عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، لرسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة. (٣)

النهى عن اتخاذ القبور مساجد

لأجل العلة المذكورة بأعلاه نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور والدعاء

(٣) الصحيح لمسلم: ١/٢٠١

(٢) نوح: ٢٣ - ٢٤

(١) النحل: ٣٦

عندها، والتضرع لديها، والصلاة إليها، والطواف بها وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

قد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن ذلك:

في رواية مسلم: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا أنبيائهم مساجد" (٤) وله رواية أخرى عن أبي مرثد الغنوي أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها".

وفي رواية أبي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم".

النهي عن اتخاذ القبور عيداً

إن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذها عيداً، ففي غيره أولى بالنهي كائناً ما كان. ثم إنه قرن ذلك بقوله "ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً" أن لا تعطلوها من الصلاة فيها، والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحري العبادة عند القبور. وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم، ثم إنه عقب النهي عن اتخاذها عيداً بقوله "وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبرى وبعديكم. فلا حاجة بكم إلى اتخاذها عيداً.

فبأي مبرر ينعكف بعض المسلمين على القبور ويتخذونها عيداً، ويصلون إليها، ويطوفون بها، ويقبلونها ويستلمونها، ويعفرون الخدود على ترابها؟! إذ المعلوم أن ذاك كله شرك فلا بد من الابتعاد عنه وإلا يكون فاعلوه شرار الخلق عند الله كما في الحديث النبوي!

